رائدات الصحافة النسوية في الدولة العثمانية

أ. د. ناديه ياسين عبد
جامعة بغداد/ كلية الآداب
nadiayasseen@coart.uobaghdad.edu.iq

(مُلَخَّصُ البَحث)

ظهرت الصحافة النسوية في الدولة العثمانية في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين جزءا من نشوء وتطور الصحافة في الدولة العثمانية، وصاحب ذلك بروز أسماء عدد من السيدات على صفحات تلك الصحف ممن كان لهن عصا الريادة في مجال الصحافة النسوية. نحاول من خلال هذا البحث التعرف على أبرز تلك الصحفيات والبيئة التي خرجن منها وطبيعة اهتماماتهن الفكرية والكتابات التي قدمنها.

الكلمات المفتاحية: الدولة العثمانية، الصحافة، المرأة، فاطمة علية، خالدة اديب

مدخل

شهدت الدولة العثمانية خلال القرن التاسع عشر تغيرات كثيرة ضمن حركة إصلاح شاملة تجاوزت المؤسسات الادارية والنظم السياسية والاقتصادية إلى الحياة الاجتماعية والفكرية (انظر: اورطايلي،٢٠٠٧؛ عبد، ٢٠١٤، ص١٩-١٦٤)، كان ظهور الصحافة واحدا منها. وهو ما تم تدشينه في عام ١٨٣١ حينما أصدر السلطان العثماني محمود الثاني (١٨٠٧-١٨٣٩) أوامره بإصدار جريدة *تقويم وقايع* صدر عددها الأول في الأول من تشرين الثاني ١٨٣١ (تقويم وقايع، دفعه ١،١ تشرين الثاني ١٨٣١م)، تولت نشر القوانين والمراسيم التي تصدرها الدولة مع بعض الأحداث المهمة داخل الدولة وخارجها، وتوالى صدور الصحف حتى وصلت مع وصول السلطان عبد الحميد الثاني(١٨٧٦-١٩٠٩) الى السلطة الى ما يزيد على سبعين صحيفة، صاحبها زيادة في عدد دور النشر بنسبة قاربت ١٠٠% (عبد، ٢٠٢٣، ص٢-٤).

-ظهور الصحافة النسوية وتطورها أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين.

كانت المرأة في الدولة العثمانية، بين الواقع المعاش والخيال المتمنى، من بين أبرز محاور الصحافة العثمانية منذ مرحلة مبكرة من تاريخها، فتناولت العديد من الصحف واقع المرأة في المجتمع العثماني، منها جريدة ترقي الصادرة ١٨٦٨، والتي بادرت اواسط عام ١٨٦٩ بإصدار ملحق اسبوعي خاص بالمرأة وذيلت العنوان الرئيس للجريدة بـ "*مخدرات ايجون غزته در*" (جريدة للنساء المحصنات) لتشكل أول جريدة نسائية ظهرت في الدولة العثمانية صدر العدد الأول منها في ٢٧ حزيران ١٨٦٩ (*مخدرات ايجون غزته در*، نومرو ١، ٢٧ حزيران ١٨٦٩م).

عكس اهتمام الصحف بوضع المرأة وتحسينه حالة الوعي المرحلية المتمثلة بان المجتمع العثماني امام واقع مختلف فرض عليه القيام بتغيرات مواكبة له، وأدت تلك القناعة إلى زيادة التوجه نحو الصحافة النسوية، ساعد عليه تزايد عدد المتعلمين لا سيما في ظل الاهتمام الذي ابداه السلطان عبد الحميد الثاني بتوسيع التعليم في الدولة العثمانية. وشهد عام ١٨٨٣ ظهور مجلتين خاصة بالمرأة الأولى باسم *خانملر* (السيدات) والثانية *انسانيت* (الإنسانية)، ومثل كل ما سبقهما من الصحف النسوية كان محرريها وكتابها من الرجال الذين كانوا مهتمين بتحسين واقع المرأة في الدولة العثمانية، لكنهما تميزتا على ما سبقهما بالدعوة الصريحة لمشاركة النساء للكتابة على صفحاتها، ووجود عدد من الكتابات الموقعة بأسماء نساء (انسانيت، نومرو ٢، ٩ شباط ١٨٨٣؛ Malkoç 2019, s.656)، ومع انه كان هناك شكك في أن يكون كلهن من النساء في ظل انتشار استخدام الأسماء المستعارة بين الصحفيين في تلك المرحلة (Enis, 2012, pp.32-33)، واحتمال إن بعض الصحفيين استخدموا أسماء نسائية لجذب القارئات من النساء، لكن هذا لا ينفي وجود عدد من النساء ممن شاركن في الكتابة الصحفية خصوصا وانه من النادر استخدام رجل اسما مستعارا لامرأة في ضوء قيم تلك المرحلة، بل ان الأكثر شيوعا هو استخدام النساء لأسماء رجالية.

وجدت الدعوة لمشاركة المرأة في الكتابة صداها بشكل واضح في مجلة *شكوفازار* (حديقة الزهور)، الصادرة عام ١٨٨٦، فكانت اول مجلة نسائية تعود ملكيتها لامرأة هي عارفة خانم، وهي ابنة منيف باشا (١٨٣٠-١٩١٠) أحد كبار رجال الإصلاح في الدولة العثمانية وصاحب مجلة *مجموعة فنون* المشهورة ووزير التعليم لأكثر من مرة في الدولة العثمانية وواحد من اكبر انصار التعليم للذكور والاناث على السواء(Celkan, 2008, s.399-403)، وهو ما شكل دعما كبيرا لابنته في مجال الصحافة، فجاءت كتاباتها معبرة وقوية بحكم ما حظيت به من دعم لتكتب في افتتاحية اول عدد من المجلة: "**نحن مجموعة**

من البشر سخر واستهزأ الرجال منا بقولهم نمتلك شعورا طويلة بلا عقل، سنثبت عكس هذا الكلام، لا بتفضيل الرجال على النساء او النساء على الرجال، وانما من خلال تقدمنا بثبات في ميدان الحياة" (Altınőz, 2003,p.13).

اللافت في *شكوفازار* ان عموم كادرها كان من النساء، كما انها وجهت جل اهتمامها الى الدفاع عن حقوق المرأة خصوصا في التعليم والعمل والتأكيد على احترام المرأة واعطائها المكان الذي تستحق في المجتمع وهو ما دفع المشاركات في الكتابة فيها الى النشر بأسمائهن الصريحة والتي كان أبرزهن مع عارفة خانم سهر خانم ومنيرة خانم وفاطمة نوبار خانم، وكلهن انتمين الى اسر بارزة في الدولة العثمانية(Altınőz, 2003,p.13).

كل الكاتبات اللاتي شاركن في *شكوفازار* كن من الطبقة الغنية في المجتمع العثماني ممن حظين بتعليم حديث وأردن أن يثبتن وجودهن في المجتمع العثماني المتغير بسرعة في تلك المرحلة وأن يكون لهن دور في ذلك التغيير، لذا كان طبيعيا ان يكون بينهن من شاركت أيضا في مجلة *مروت* (المروءة) الأسبوعية التي صدرت عام ١٨٨٧، اعقبها بعامين صدور عدد واحد من مجلة *بارچه بوغچسى* (جزء من حديقة) أصدرتها امرأتان هما: خديجة سمحا وربيعة كامل[1]، اهتمت بتغطية كل ما خص أمور إدارة البيت وتربية الأطفال، وتميزت باحتوائها بعض الصور (بارچه بوغچسى، ١٨٨٩).

الصحيفة النسائية الأطول عمرا في تاريخ الدولة العثمانية كان صدورها عام ١٨٩٥ حملت اسم *خانماره مخصوص غزته* (صحيفة خاصة للسيدات) لصاحبها محمد طاهر بك، والتي استمرت بالصدور لما قارب الثلاثة عشر عاما، كان صدورها في البداية عددين في الأسبوع ثم صارت عددا واحدا أسبوعيا. ومن الأمور المهمة في *خانماره مخصوص غزته* إن معظم العاملين فيها والمشاركين في كتابة مقالاتها كن من النساء، مع استمرار وجود عدد من الكتاب الرجال على صفحاتها (Enis, 2012, p.47)، دفع هذا الوضع مالك الجريدة محمد طاهر بك والذي كان مدير تحريرها أيضا، احتراما لقيم المجتمع، الى التخلي عن ادارة التحرير بعد عامين فقط من صدور الجريدة الى شادية خانم، احدى الكاتبات في الجريدة والتي تشير بعض المصادر الى انها كانت زوجته (Altınőz, 2003,p.13). كما إن الكاتبات فيها كن من الطبقة الغنية من زوجات او بنات كبار موظفي الدولة ممن تعلمن تعليما حديثا على يد مدرسين خاصين او في المدارس الأجنبية.

[1] لم نتمكن من الحصول على معلومات واضحة عن بعض الأسماء الواردة في البحث.

كانت فاطمة علية (١٨٦٢-١٩٣٦) واحدة من أبرز المساهمات في الجريدة وهي ابنة احمد جودت (١٨٢٢-١٨٩٥) احد كبار رجال الدولة ممن كانت لهم بصمتهم الواضحة في مرحلة التنظيمات في الدولة العثمانية، حصلت على تعليم جيد، وان كان داخل جدران المنزل، فأجادت العربية ودرست العلوم الدينية والتاريخ الإسلامي، وتعلمت اللغة الفرنسية على يد مدرس فرنسي خاص واتقنتها، وحظيت بدعم والدها وعموم اسرتها، كما شجعها زوجها على الكتابة والترجمة عن الفرنسية، فقامت بترجمة العديد من المؤلفات عن الفرنسة، والفت بنفسها مجموعة من الكتب الأدبية والروايات (Frierson, 2005, p.147; Gezer, 2018, s.600-602)، وعلى الرغم من تعليمها الغربي فقد حافظت علية على توجهاتها الإسلامية والطابع الديني للأسرة التي انتمت لها فاتسمت عموم طروحاتها بالاعتدال، وهو ما بدى واضحا في كتابها *"مشاهير النساء المسلمات"* وهو اول كتاب تاريخي كتبته امرأة في الدولة العثمانية، كما ظهرت توجهاتها الإسلامية في اعمالها الروائية التي نشرتها مثل *"انين" و"الخيال والحقيقة" و"رفعت"* (عبد القادر، ٢٠١٩، ص١٩٢-١٩٣)، وظلت تطرح قضية المرأة في الدولة العثمانية وتدافع عنها من منظور إسلامي في كل كتابتها يتقدمها ما نشرته في الصحف العثمانية.

اهتمت علية على وجه خاص بموضوع تعليم المرأة ودافعت عنه ولم تتردد عن مهاجمة الرجال في هذا الصدد، فذكرت إن الرجال تعمدوا حرمان المرأة من المعرفة حفاظا على واقعهم المسيطر على النساء، وطرحت الموضوع داخل إطار الحداثة الإسلامية بما يتفق وعصرها وقناعاتها الخاصة أيضا مشددة على إن الله منح العلم وكل نعمه لكافة خلقه ذكورا واناثا (فاطمه عليه، ٥ أيلول ١٨٩٥) ، وحاولت تغيير الصورة النمطية للمرأة في المجتمع العثماني من خلال عرض نماذج لنساء برزن في التاريخ الإسلامي وكان لهن اثرهن في الحياة العلمية والاجتماعية لإيضاح المكانة التي تتمتع بها المرأة في ظل الإسلام (فاطمة علية، ٢٦ أيلول ١٨٩٥)، وعلقت في احدى كتاباتها "**أتمنى على رجالنا... أن يظهروا للأعداء قبل الأصدقاء كيف اعطى الإسلام أهمية لكرامة المرأة، ويجب على أصحاب القلم والمعرفة دفع الجميع لمساندة تقدم المرأة**" (فاطمة علية، ٥ أيلول ١٨٩٥)، ودافعت عن مكانة المرأة في الإسلام مؤكدة ان واقع المرأة المتراجع في الدولة العثمانية وما تواجهه من مشاكل إزاء أي مشاركة لها في الحياة المدنية، "**هو بسبب العادات والتقاليد الاجتماعية ولا علاقة للدين الإسلامي بذلك**" (Aygül, 2010, p.38). واستندت في دفاعها عن المرأة في العديد من المواضيع على ثقافتها الدينية، ولعل من بين أبرز تلك الأمور موضوع تعدد الزوجات فهاجمت المدافعين عنه بوصفه "**حقا منحته الطبيعة للذكور واكدته الشريعة**"

محاججة بان القرآن الكريم لم يفرض تعدد الزوجات وانما سمح بذلك فقط في معينة، مشددة على انه "**إذا امنا بان مبادئ الإسلام مقبولة عالميا فيجب ان نعلن بان الزواج الأحادي هو الشكل الذي يشجعه الإسلام**" (نقلا عن: عبد، ٢٠١٣، ص٣٩٠).

كما كان من بين الأسماء التي برزت بين الكاتبات في الجريدة الأخت الصغرى لفاطمة علية، امينة سمية (١٨٦٤-١٩٤٤) التي تربت في نفس البيئة وحصلت على نفس المستوى من التعليم (see: Kaymaz, 2008, s.16-32). وهناك ايضا مقبولة ليمان التي كان والدها وزوجها من كبار البيروقراطية في الدولة العثمانية، وحظيت بشهرة واسعة في عالم الصحافة والآدب في الدولة العثمانية لدرجة ان كتاباتها واشعارها كانت مطلوبة ومرغوبة بشكل واسع بين القراء وظلت تنشر حتى بعد وفاتها عام ١٨٩٨ (Frierson, 2005, p.147). كما كان هناك ايضا الشاعرة نكار بنت عثمان (١٨٦٢-١٩١٨) والشاعرة والموسيقية ليلى ساز وحميت زهرة وكججي زادة اقبال (Demirel, 2020, s.62)، انتمى كلهن لأسر غنية، مع ذلك شهدت الاعوام الأخيرة من عمر الجريدة مشاركة عدد من خريجات المدارس الحكومية من الطبقة المتوسطة في الكتابة فيها خصوصا وإنها تفردت في دفع رسوم عما كانت تنشره من المقالات والاشعار(Altınőz, 2003,p.13; Enis, 2012, p.45). تلك المشاركة المحدودة للنساء من مختلف الطبقات ازدادت قوة ووضوحا مع تزايد اعداد الصحف بعد ثورة ١٩٠٨ وإعلان الدستور.

-الصحافة النسوية زمن الاتحاديين وأبرز كاتباتها

ازداد عدد الصحف النسوية وانتشارها بعد ثورة ١٩٠٨ جزءا من ازدهار الصحافة في الدولة العثمانية في تلك المرحلة، خصوصا مع الاهتمام الذي اولاه الاتحاديون للمرأة وسعيهم لإشراكها في الحياة الاجتماعية وقناعتهم إن أي محاولة لتغيير المجتمع لا بد أن تبدأ منها، وكل الزخم الذي شهدته مناقشات قضايا المرأة بين المثقفين العثمانيين من مختلف الاتجاهات الفكرية. حتى انه خلال الأشهر القليلة التي اعقبت الثورة ظهرت عدة مجلات نسوية في نفس الوقت تقريبا. ومع وجود المشاركة النسوية في تلك المجلات الا انها ظلتا محدودة نسبيا، ويبدو ان القلق من الواقع السياسي الجديد بعد الثورة وعدم اتضاح الصورة كان له اثره في بقاء الرجال العنصر الغالب على صفحات المجلة خلال الأشهر القليلة التي أعقبت الثورة، وهو وضع ما لبث أن تغير خصوصا مع حرص إدارة المجلات النسوية على زيادة المشاركة النسائية بين كتابها، وكان جواب إدارة احدى المجلات عندما استفسرت امرأة عن إمكانية المشاركة في المجلة بان المجلة ملك للنساء أساسا، وكان معظم من انخرط بالنشاط الصحفي في تلك المرحلة لهم نشاطا سياسيا، وهو ما انطبق على النساء ايضا ومن بينهن

مثلا كانت امينة سامية، اخت فاطمة علية، اذ كانت مسؤولة لفرع الاتحاد والترقي النسائي في سلانيك (Aygül, 2010, p.36) ، وعلى الرغم من ذلك عن انتقاد حكومة تلك المرحلة وبجرأة واضحة، حتى انها شبهت رجال الدولة في العهد الدستوري برجال العهد الحميدي قائلة: "**بعد اعلان الحرية تجاهلنا رجال الدولة تماما كما فعلوا بعصر الاستبداد**" (امينه سميه، تشرين الأول ١٩٠٩).

ازداد عدد الصحف النسوية باطراد زمن الاتحاديين، وازداد عدد الكاتبات فيها وتنوعت خلفياتهم، وكان العديد منهن مؤسسات لجمعيات ومنظمات خيرية او جزءا منها، فإلى جانب الشخصيات النسائية المعروفة أمثال امينة سمية ونكار بنت عثمان كان هناك زكية خانم، وهي شخصية أدبية برزت بعد ثورة الاتحاديين في تموز ١٩٠٨ وكانت رئيسة لأحدى الجمعيات النسوية وكانت موضع احترام وتقدير لدى العديد من الشخصيات البارزة في جمعية الاتحاد والترقي، وأيضا باكيزة سني وسنيحة حكمت وعايشة عصمت وأسماء كثيرة أخرى تنوعت خلفياتهن الاجتماعية بين الانتماء الى الاسر الغنية او المتوسطة، وهو ما ترتب عليه اختلاف في نوع التعليم بين التعليم الخاص في المنزل والمدارس الخاصة او المدارس الحكومية، وامتد التنوع ليشمل الاعمار بين النساء الشابات والمتقدمات في العمر. كل ذلك انعكس على التنوع الفكري حد الاختلاف في الموضوعات التي طرحتها

وحتى اندلاع الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ صدرت مجموعة من الدوريات النسوية كلها في إسطنبول كن النساء هن الطابع الغالب على العاملين فيها وتولين إدارة معظمها، منها *قادينلق حياتى* (الحياة النسوية) ١٩١٣ بإدارة امينة سحر علي، *سيل* ١٩١٤، *سياسه* ١٩١٤، *قادينلق* (النسوية) ١٩١٤ تولت تحريرها نكار خانم، *قادينلر ايونجاك ديلدر* (النساء لسن لعبة) وهي اول مجلة ساخرة خاصة بالنساء في الدولة العثمانية(Malkoç, 2019, s.657–658)، *قادينلر عالمي* (عالم النساء) صدر العدد الأول منها في يونيو/ حزيران ١٩١٤ التي غيرت اسمها بدءا من العدد الرابع الى *عثمانلى قادينلر عالمى* (عالم النساء العثمانيات) وترأست تحريرها فريحه كامران(قادينلر عالمى، نومرو ١، ٥ حزيران ١٩١٤؛ عثمانلى قادينلر عالمى، نومرو ٤، ٢٥ حزيران ١٩١٤م).)، و *خانملر عالمى* (عالم السيدات) استهلت الصدور في ابريل/ نيسان ١٩١٤ واستمرت بشكل متقطع الى أواخر عام ١٩١٨ (خانملر عالمى، نومرو ١، ٩ نيسان ١٩١٤ و نومرو ٣٠، ٦ تشرين الثاني ١٩١٨). ومع ان كثيرا من هذه المجلات لم يستطع الصمود طويلا بسبب الصعوبات المالية، فإنها عموما كانت أفضل حظا من تلك التي نشرت قبل ١٩٠٨، اذ تمكن اكثرها من الصمود لعام او أكثر وهو مؤشر على نجاحها في جذب القراء وزيادة عددهم، وكانت

الصحيفة الأطول عمرا والأكثر أهمية بين الصحافة النسوية بعد عام ١٩٠٨ هي *قادينلر دنياسى* (دنيا المرأة).

تميزت *قادينلر دنياسي*، بأجندتها النسوية الواضحة حد التطرف، فأعلنت في عددها الأول بانها مخصصة للدفاع عن حقوق النساء فقط، ورفضت قبول أي مقال من الكتاب الرجال، فـ "**صفحات قادينلر دنياسي لن تفتح للرجال ما لم يتم عد حقوقنا جزءا من الحقوق العالمية ويكون بإمكان النساء، كما الرجال، المشاركة في كل الأنشطة**" (قادينلر دنياسى، نومرو ١، ١٧ نيسان ١٩١٣)، وفي الوقت الذي اكدت فيه رفض النساء "**قبول احسان الرجال لأنهاء المعاناة التي نتحملها بسببهم**"، أعربت عن امتنانها لكل من دعم المرأة من الرجال ودافع عن حقوقها، وطالبتهم بنشر كتاباتهم في الدوريات العامة ذات القراء الأكثر عددا، موضحة إن ذلك من شأنه ان يصب في صالح قضيتهن اكثر من النشر على صفحات المنشورات النسوية(قادينلر دنياسى، نومرو ١، ١٧ نيسان ١٩١٣).

انسجاما مع تلك الرؤية فان كادر *قادينلر دنياسي* كان كله من النساء، تتقدمهن مالكة امتيازها نورية علويه (١٨٩٣-١٩٦٤) التي تلقت تعليمها في القصر السلطاني واجبرت على الزواج في سن مبكرة من أحد رجاله، وبعد وفاته تزوجت أحد الصحفيين المعروفين في تلك المرحلة، وأسست *قادينلر دنياسي* وهي في سن العشرين، كما أسست جمعية "الدفاع عن حقوق المرأة العثمانية" لترتبط الصحيفة مع الجمعية لارتباط جهة التأسيس والغاية من كلتيهما (Demirhan, 2020, pp.86-87). وكانت امينة سحر علي هي مديرة التحرير، اما أبرز كاتباتها فهن بلقيس شوكت وهي حفيدة لاحد وزراء الدولة العثمانية واول امرأة عثمانية صعدت طائرة وذلك عام ١٩١٣ (Kutlar, 2010, p.5)، عزيزة حيدر صاحبة المكانة المرموقة في صفوف الاتحاديين والتي أسست مدرسة بمالها الخاص لتعليم البنات، وسعت من خلال كتاباتها الى تحسين واقع المرأة مطالبة المجتمع عموما والرجال على وجه الخصوص تغيير نظرتهم للمرأة والقيام بدورهم لتحقيق ذلك، فكتبت ان المجتمع وجه اللوم دائما للنساء "**يقولون يجب أن تكون هكذا ويجب أن تعمل هكذا... نحن نتفهم لكن ماذا عن الرجال؟... يقولون ان النساء فوضويات وغير حكيمات وبلا اخلاق... بالمقابل الرجال ذهب خالص!... يقولون إن نسائنا جاهلات فهل رجالنا متعلمون؟ يقولون إن نساءنا في الظلام فهل رجالنا مستنيرون؟**" مؤكدة إن على النساء اكتساب القوة للمطالبة بحقوقهن واثبات انها ليست اقل من الرجل (عزيزه حيدر، ٣٠ نيسان ١٩١٤).

كانت نورية علويه واحدة من اكثر العاملات في الصحافة حماسا لتشجيع المرأة على العمل، فخاضت من خلال جريدة *قادينلر دنياسي* واحدة من ابرز الحملات دفاعا عن حق المرأة في العمل، وكانت الحملة موجهة ضد شركة الهاتف اثر رسالة وجهتها احدى المتقدمات للعمل في الشركة ذكرت فيها إن الشركة اشترطت للتعيين اجادة اللغة الفرنسية او اليونانية، وهو ما عدته الصحيفة تمييزا ضد النساء المسلمات، وطالبت في مجموعة من المقالات الحكومة بتقديم الشرح والشركة بالاعتذار (نوريه علويه، ١٢ أيار ١٩١٣؛ نوريه علويه، ١٩ أيار ١٩١٣)، وبالفعل خلال عشرة أيام ذكرت نجحت نورية علويه في مسعاها وأعلنت على صفحات المجلة انها تلقت رسالة من مسؤول حكومي تفيد بان الحكومة استلمت مذكرة من الشركة تؤكد انها ترحب بكل المتقدمات (نوريه علويه، ٢٢ أيار ١٩١٣).

برز في الصحافة خلال العهد الاتحادي العديد من الكاتبات اللواتي كن ناشطات ليس على مستوى الصحافة فحسب بل وفي الجمعيات والمنظمات النسوية أيضا، وكان بينهم يشار نزيهة، سعاد سعيد، نظيرة راسم، علية جواد، بنت الحليم سيحان، فاطمة مكرم، ومكرم بلقيس التي برز اسمها على نحو خاص في المطالبة بإصلاح واقع المرأة في الدولة العثمانية مطالبة الحكومة باتخاذ خطوات واضحة في هذا الصدد (مكرم بلقيس، ٢٧ كانون الأول ١٩١٣)، وحولت موضوع المطالبة بتعليم المرأة الى قضية وطنية وعدت التهاون بها خيانة للوطن، فكتبت "**ان تكون غير مكترث بقضية التعليم او تعيقه عن التطور فذلك خيانة للوطن. ونحن لا نتوقع ابدا مثل هذا الموقف من حكام بلادنا**" (مكرم بلقيس، ١٧ تموز ١٩١٣). وكانت من أوائل من طالبت بالمساواة بين الرجل والمرأة وحقها في الحصول على فرص متساوية في العمل، مشددة على ان المرأة تمتلك من القدرة ما يمكنها من العمل في كل الميادين، ودعمت كلامها بنماذج من نساء معروفات عالميا في مجال المحاماة والطب والرياضيات وحتى الشرطة (مكرم بلقيس، ١٠ تموز ١٩١٣). ومن نفس منطلق المساواة طالبت بضرورة ان يكون هناك تمثيل للنساء في الحياة السياسية، موضحة إن النساء والرجال متساوون لكنهم ليسوا متماثلين، وبان أفكارهم ومشاعرهم مختلفة ومن ثم فان الرجال لا يمكن لهم أن يحلوا محل النساء، وأعربت عن قناعتها بإن مشاركة المرأة من شأنها أن تجعل الحياة السياسية أكثر تحضرا (مكرم بلقيس، ٢٩ تشرين الثاني ١٩١٣).

ظهرت العديد من الشخصيات النسائية في عالم الصحافة في الدولة العثمانية زمن الاتحاديين، كانت خالدة اديب (١٨٨٢-١٩٦٤) الاكثر شهرة بينهن، وازدادت شهرة ومكانة بعد اعلان الجمهورية في تركيا الحديثة عام ١٩٢٣، وتنوع نشاطها متجاوزا الصحفي الى السياسي والادبي والأكاديمي. وكانت خالدة اديب اول امرأة تحصل على شهادة البكالوريوس

في الدولة العثمانية وذلك عام ١٩٠١، اذ سعى والدها الذي كان واحدا من كبار موظفي الدولة زمن السلطان عبد الحميد الثاني، الى حصول ابنته على التعليم الحديث ولم يتردد عن ارسالها الى كلية روبرت، احدى المدارس الأجنبية في إسطنبول، مما ساعدها على اتقان الإنكليزية والفرنسية علاوة على تلقيها دروسا خاصة لدراسة اللغة العربية والادب التركي(نذير، ٢٠٢٠، ٢٦٤؛ Yalçındağ, 2021, s.21-22)، مما وفر لها قاعدة جيدة من التعليم الغربي والشرقي مع رجحان كبير لكفة الأول زادها زواجها المبكر من المختص بعلم الرياضيات صالح زكي[٢].

كانت خالدة اديب واحدة من اكثر النساء نشاطا في الدولة العثمانية وفي تركيا، فكان لها حضورا كبيرا في اكثر من جمعية دافعت عن المرأة وحقوقها، كما كانت من بين ابرز النساء اللواتي شاركن في الحركة الوطنية وحرب الاستقلال ضد الاحتلال الأجنبي بعد سيطرة قوات الحلفاء على إسطنبول عام ١٩١٨ عقب الحرب العالمية الأولى(Yalçındağ, 2021, s.22-23)، وانعست كل تلك الخبرات في نشاطها الادبي الغني فقدمت العشرات من القصص والروايات عالجت في كثير منها معاناة المرأة في الدولة العثمانية وفي تركيا، كان من بينها *الشبح، ام ريكا، هاندان*، قرار محتوم، قميص من لهب، اطلقوا النار على الفاجرة. وترجمت روايات أخرى عن الادب الفرنسي مثل رواية "دولافته" للاديب الفرنسي جورج ادنا أطلقت عليها اسم *مرام*، كما كانت قد ترجمت اثناء دراستها في الكلية عن اللغة الإنكليزية كتاب بعنوان *الام والمنزل* طبعت منه الف نسخة وكرمها السلطان العثماني لأجله (Ibid ؛ عبدالقادر، ٢٠١٩، ص١٩٦-١٩٧).

بدأت خالدة اديب نشاطها الصحفي في مرحلة مبكرة من حياتها منذ كانت طالبة، وان كانت بدايات متواضعة لا تختلف في مضمونها عما كتبته في كتابها المترجم *الام والمنزل*، من ذلك ما نشرته في صحيفة *خانماره مخصوص غزته* أواخر عام ١٨٩٧ عندما اكدت على عظمة واجب الامومة وضرورة تهيئة النساء لهذا الواجب "**فما دام الأطفال هم مستقبل الامة ... فنشأة الطفل محروما من التربية الجيدة هو ضرر لكل المجتمع**" (خالده اديب، ٢٨نومرو ١٣٤، تشرين الأول ١٨٩٧). الا ان انطلاقتها الحقيقية في عالم الكتابة عموما والصحافة على وجه الخصوص كانت بعد ثورة الاتحاديين عام ١٩٠٨، فخلال الأشهر

[٢] صالح زكي (١٨٦٤-١٩٢١) ولد في إسطنبول واكمل دراسته الثانوية فيها، وتخرج من كلية الهندسة الكهربائية في باريس عام ١٨٨٩، درس الهندسة التحليلية والفيزياء الرياضية وعلم الفلك وحساب التفاضل والتكامل في اكثر من كلية في إسطنبول، كما صار مديرا لجريدة المصور عام ١٨٩٧، وفي عام ١٩٠٨ اختير عضوا في مجلس المبعوثان العثماني الى ان استقال عام ١٩١٧، وواصل عمله في التدريس الى ان توفي عام ١٩٢١، ولم يكن الزوج الوحيد لخالدة اديب اذ انفصلت عنه عام ١٩١٠ اثر زواجه بامرأة أخرى، وتزوجت للمرة الثانية بالطبيب عبدالحق عدنان وذلك عام ١٩١٧. (نذير، ٢٠٢٠، ص٢٧٨).

القليلة التي أعقبت الثورة بادرت خالدة اديب الى نشر سلسلة من المقالات، كان بعضها قصص قصيرة، في الصحيفة الرسمية للاتحاديين، كانت كلها تخص واقع المرأة وتطالب بالاهتمام بها وتحسين واضعها داخل الاسرة والمجتمع على السواء (Doğan, 2016, pp.90,160).

شكلت المرأة ومعاناتها واحدا من اهم المواضيع التي شغلت خالدة اديب وهو ما دفعها بعد ثورة الاتحاديين الى تأسيس جمعية خاصة بالنساء باسم "جمعية تقدم المرأة" (Yalçındağ, 2021, s.23)، ولم تكن الحياة التي عاشتها بمعزل عما اثارته خالدة اديب بخصوص وضع المرأة، منها ما يخص تعدد الزوجات بعد ان عاشت خالدة اديب التجربة بنفسها بعد ان تزوج زوجها الأول من امرأة ثانية بعد أكثر من عشر على زواجها وهو ما دفعها للانفصال عنه والزواج بغيره، كما كان والدها قد تزوج من امرأة اخرى غير أمها، فأعربت اكثر من مرة عن رفضها تعدد الزوجات وأشارت في احدى كتاباتها الى اشمئزازها من ذلك بقولها "**في طفولتي ترك تعدد الزوجات ونتائجه انطباعا قبيحا ومحزنا للغاية، لقد كان التوتر المستمر في منزلنا كان كل احتفال عائلي بسيط ينقلب الى حالة من التوتر اشعرني بألم لم أستطع نسيانه**" (Vuslat Devrim Altınőz, 2003, p.35).

كان تعليم المرأة واحدا من اهم المواضيع التي ركزت عليها خالدة اديب، ومارست بنفسها تلك المهمة فعملت خلال سنوات عديدة من حياتها في مجال التعليم، وطالبت بفتح المجال واسعا امام تعليم المرأة، وعبرت عن رفضها إعطاء صورة مزيفة عن واقع المرأة والتركيز على الأمور ذات الطابع المفرط في الخصوصية للنساء "**عند الحديث عن المرأة هناك من يصورها على ان الزهور تحتها والسماء الزرقاء الصافية تحيط بها وتعيش في بيئة كالجنة**" وان واقع المرأة ابعد ما يكون عن تلك المثالية، في اشارة الى عيشها بواقع متدني "**ولرفع شأن المرأة...فان النساء بحاجة الى تعلم كل ما يتعلمه الرجل وتجاوز التعليم على الأمور ذات الطابع الانثوي الخاص**"(خالده صالح، اذار ١٩٠٩). واشادت اديب بتعاون الكثير من الرجال في الدولة العثمانية لتقدم المرأة وفتح أبواب الحياة امامها، وألحت على بنات جنسها بالاستفادة من كل ذلك الدعم "**فأن النساء سوف يكن أكثر نجاحا إذا ما استثمرن نواياهم الطيبة بدل النظر إليهم على انهم عقبة امام ما يسعين الوصول اليه والقيام به**"(خالده صالح، اذار ١٩٠٩).

حماسا منها لحقوق المرأة جعلت خالدة اديب من الدفاع عنها مسألة وطنية، فكتبت في احدى مقالاتها: "**المرأة اولا وقبل كل شيء هي عثمانية ووطنية. وطنها يجب ان يكون أغلي واعز شيء في قلبها. مصالح البلد على الدوام هي أكثر اهمية من مصالح المرأة، لذا على المرأة ان تدافع عن حقوقها لا لنفسها ولكن لكي تكون قادرة على ان تربي جيلا يرتقي بالأمة**"(خالده صالح، اذار ١٩٠٩).

تركت ظروف الحرب العالمية وكل التطورات التي تبعتها، وعلى نحو خاص الحركة الوطنية التي كانت خالدة وكثير من النساء جزءا منها، اثرا واضحا على كتابات خالدة اديب في تحشيد الرأي العام لصالح الحركة الوطنية، وظلت المرأة محورا مهما في توجهاتها واهتماماتها، من ذلك ما أعلنته في أواسط عام ١٩١٩ بقولها "**أيها المسلمون، أيها الاتراك، اننا نعيش أحلك اوقاتنا، انها اشبه بالليل، بل انها اشد الليالي سوادا، لكننا سنقضي على هذا الظلام ونستقبل شمس الصباح... اقسموا بالولاء للعلم العثماني، واقسموا بالموت إذا لزم الأمر. قد يكون صحيحا اننا لا نملك أسلحة بأيدينا، لكننا نملك ما هو أكثر فعالية واهمية من كل تلك الأسلحة: الله وعدله... فالمدافع والبنادق تفنى لكن الله وعدله باقيان**" لتكمل كلامها عن لسان بقية النساء ولهن أيضا "**نحن الأمهات التركيات لنا من المشاعر القومية ما يجعلنا لا نبالي بكل هذه المدافع، ونضع أيدينا بأيدي رجالنا مطالبين بحكومة شجاعة ديمقراطية قوية**" (Quoted in: Altınőz, 2003, p.35).

الخاتمة:

وفرت الصحافة النسوية العثمانية مجالا حيويا لكل المهتمين بتحسين واقع المرأة والمجتمع عموما، وقدمت منصة مهمة للمرأة التركية للتعبير عن افكارها وما ارادته لنفسها، مما ساعد على بروز العديد من الشخصيات النسوية في الحياة الثقافية في الدولة العثمانية بعدما كان الامر مقتصرا على الرجال.

سيطرت النخبة من الاسر البيروقراطية الغنية في الدولة العثمانية على النشاط الصحفي فيها، فكان معظم الصحفيات اللواتي برزن في المرحلة المتأخرة من تاريخ الدولة العثمانية من الاسر الغنية التي لها صلاتها بالأسرة الحاكمة او شغلوا مكانا بارزا في جهازها الإداري، وحتى بعد انضمام عدد من النساء من الطبقة الوسطى للكتابة في الصحافة ظلت المجموعة الأولى هي الأكثر فعالية في العمل الصحفي، وظل النشاط بالعموم محصورا ضمن إطار النخبة في الدولة العثمانية.

الملاحظ على معظم من عمل في المجال الصحفي من النساء انه كان لكثير منهن نشاط واضح في التأليف والترجمة الى جانب كتابتهن في الصحافة، كما انهن كن ناشطات على المستوى الاجتماعي والمنظمات المدافعة عن حقوق المرأة ومارس عدد منهن النشاط السياسي أيضا.

المصـــــادر:

أولا : الصحف والمقالات الصحفية باللغة العثمانية

١.امينه سميه، ترقيات نسوانيه يى كيمدن بكله يه لم، "محاسن"، نومرو ١٠، أيلول ١٣٢٥ر (تشرين الأول ١٩٠٩م).
٢.انسانيت، استانبول، نومرو ٢، ١ ربيع الاخر ١٣٠٠هـ ٩ شباط ١٨٨٣م.
٣.بارچه بوغچسى، استانبول، ؟، ١٨٨٩م.
٤.خالده اديب، افاده مخصوصه، "خانملره مخصوص غزته"، نومرو ١٣٤، ١٦ تشرين اول ١٣١٣/ ٢٨ تشرين الأول ١٨٩٧.
٥.خالده صالح، محاسن اقويان قارداشلريمه، "محاسن"، نومرو ٦، شباط ١٣٢٤ر (اذار ١٩٠٩م).
٦.خانملر عالمى، نومرو ١، ٢٧ مارت ١٣٣٠ر (٩ نيسان ١٩١٤م) و نومرو ٣٠، ٢٤ تشرين اول ١٣٣٤ر (٦ تشرين الثاني ١٩١٨م).
٧.عثمانلى قادينلر عالمى، نومرو ٤، ١٢ حزيران ١٣٣٠ر (٢٥ يونيو/ حزيران ١٩١٤م).
٨.عزيزه حيدر، يالنز قادينلر مى اصلاح محتاج؟، "قادينلق"، نومرو ٧، ١٧ نيسان ١٣٣٠ر (٣٠ نيسان ١٩١٤م).
٩.فاطمه عليه، بابلولردن عبرت آله لم، "خانملره مخصوص غزته"، نومرو ٢، ٢٤ اغستوس ١٣١١ر (٥ أيلول ١٨٩٥م).
١٠. فاطمه عليه، مشاهير نسوان اسلاميه دن بيري، "خانملره مخصوص غزته"، نومرو ٨، ١٤ أيلول ١٣١١ر (٢٦ أيلول ١٨٩٥م).
١١. قادينلر دنياسى، نومرو ١، ٤ نيسان ١٣٢٩ر (١٧ ابريل/ نيسان ١٩١٣م).
١٢. قادينلر عالمى، نومرو ١، ٢٣ مايس ١٣٣٠ر (٥ يونيو/ حزيران ١٩١٤م).
١٣. مكرم بلقيس، انقلاب اجتماعيده اساسلر، "قادينلر دنياسى"، نومرو ١٢٢، ١٤ كانون اول ١٣٢٩ر (٢٧ كانون اول ١٩١٣م).
١٤. مكرم بلقيس، شدتله رد قادينلر ناقصة العقل ايمش! فاطمه حسنه خانم، "قادينلر دنياسى"، نومرو ٨٥، ٢٧ حزيران ١٣٢٩ر (١٠ تموز ١٩١٣م).
١٥. مكرم بلقيس، مساوات تامه، "قادينلر دنياسى"، نومرو ١٠٠، ١٦ تشرين ثاني ١٣٢٩ر (٢٩ تشرين الثاني ١٩١٣م).
١٦. مكرم بلقيس، معارف نظارتندن بيوك بر تمنى، ''قادينلر دنياسى''، برنجى سنه، نومرو ٩٢، ٤تموز ١٣٢٩ (١٧ تموز ١٩١٣).

١٧. نوريه علويه، اجتهاد كافى دكل إيضاحات ايستر ترضيه بكلرز، "قادينلر دنياسى"، نومرو ٣٣، ٦ مايس ١٣٢٩ر (١٩ أيار ١٩١٣م).
١٨. نوريه علويه، إيضاحات بكلرز ترضيه ايسترز، "قادينلر دنياسى" نومرو ٢٦، ٢٩ نيسان ١٣٢٩ر (١٢ ايار ١٩١٣م).

ثانيا: المصادر باللغة العربية:

١٩. اورطايلي، البر (٢٠٠٧)، الخلافة العثمانية التحديث والحداثة في القرن التاسع عشر، ترجمة عبد القادر عبدلي، شركة قدمس، بيروت.
٢٠. ترقى مخدرات ايجون غزته در، استانبول، نومرو ١، ١٥ حزيران ١٢٨٥ر (٢٧ حزيران ١٨٦٩م).
٢١. تقويم وقايع، استانبول، دفعه ١، ٢٥ جمادى اول ١٢٤٧هـ (١ تشرين الثاني ١٨٣١م).
٢٢. عبد القادر، هجران عصمت (٢٠١٩)، المرأة العثمانية ودورها في الحياة العامة ١٨٣٩-١٩٢٣. استانبول والانضول انموذجا، مركز طروس، الكويت.
٢٣. عبد، نادية ياسين (٢٠١٤)، الاتحاديون دراسة تاريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية اواخر القرن التاسع عشر– ١٩٠٨، دار ومكتبة عدنان، بغداد.
٢٤. عبد، ناديه ياسين (٢٠١٣)، المرأة والحداثة في الفكر العثماني أواخر القرن التاسع عشر حتى بداية الحرب العالمية الأولى، مجلة الآداب/ بغداد، العدد ١٠٥.
٢٥. عبد، ناديه ياسين (٢٠٢٣)، نشوء وتطور الصحافة النسوية في مركز الدولة العثمانية (١٨٦٩-١٩٢١). دراسة تاريخية، حوليات آداب عين شمس/ القاهرة، مجلد ٥١/٣.
٢٦. نذير، امين عباس (٢٠٢٠)، خالدة اديب وأثرها الثقافي والسياسي في تركيا ١٨٨٢-١٩٦٤، مجلة جامعة الانبار للعلوم الإنسانية، العدد ٣ مجلد ١.

ثالثا: المصادر باللغتين الإنكليزية والتركية:

27. Altınőz, Vuslat Devrim (2003), The Ottoman Women's Movement: Women's Press. Journals. Magazines and Newspapers from 1875 to 1923, Master thesis, Miami University, USA.
28. Aygül, Ceren (2010),Change in the Status of Turkish Women During the Ottoman Modernization and Self- Evaluation of Women in Kadinlar Dunyasi of 1913, Master thesis, Middle East Technical University, Turkey.
29. Ayşe Sırma (2021), Çeviren/Çevrilen Bir Yazar Olarak Halıda Edıb, Doctor thesis, Yıldız Teknik Üniversitesi.
30. Celkan, Hikmet Yıldırım (2008), I. Meşrutiyet Döneminde Modern Bir ğitimci: Münif Paşa, Gaziantep Üniversitesi Sosyal Bilimler Dergisi, Cilt 7 No.2.
31. Demirel, Özge (2020), 19. Yüzyılda Osmanlı Basınında Kadının Temsili: Hanımlara Mahsus Gazete Üzerınden Bır Değerlendırmy, Yüksek lesana tezı, Marmara Ünıversıtsı, Turkye.
32. Demirhan, Ansev (2020), We Can Defend Our Rights by Our Own Efforts: Turkish Women and the Global Muslim Woman Question, 1870-1935, Doctor thesis, University of North Carolina at Chapel Hill.
33. Doğan, Emine Hoşoğlu (2016), Late Ottoman Muslim Women of Letters Vis-À- Vis the Gendered Discourse of the New Ottoman Muslim Woman, Doctor thesis, University of Utah.

34. Enis, Ayşe Zeren (2012), Everyday Lives of Ottoman Women: Hanımlara Mahsûs Gazete (Newspaper for Ladies (1895-1908), Master thesis, Boğaziçi University.
35. Frierson, Elizabeth B.(2005), Women in Late Ottoman intellectual history, "Late Ottoman Society. The Intellectual Legacy", Ed. Elisabeth Özdalga, New York.
36. Gezer, Gülnaz (2018), Osmanlıda Kadıının Uyanışı: Fatma Aliye Hanim, Cedrus The Journal of MCRI, VI.
37. Kaymaz, Kadriye (2008), İlk Türk kadın yazarlarindan Emine Semiye Hanim Hayati ve Eserleri, Yüksek lesana tezı, Marmara Ünıversıtsı, Turkey.
38. Kutlar, Mithat (2010), Osmanlı Kadın Dergileri içinde Erkekler Dünyası Dergisi, Fe Dergi: Feminist Eleştiri, Ankara, Cilt 2 Sayı 2.
39. Malkoç S,elda (2019), Osmanlı Dönemi Kadın Dergileri, Uluslararası Sosyal Araştırmalar Dergisi, Cilt 12, Sayı 63.
40. Malkoç, Selda (2019), Osmanlı Dönemi Kadın Dergileri, Uluslararası Sosyal Araştırmalar Dergisi, Cilt 12, Sayı 63.

Pioneers of women's journalism in the Ottoman Empire

Abstract:

Feminist journalism appeared in the Ottoman Empire in the last third of the nineteenth century and the beginning of the twentieth century, as part of the emergence and development of journalism in the Ottoman Empire. This was accompanied by the emergence of many names of women on the pages of those newspapers who were pioneers in the field of feminist journalism.

Through this research, we try to identify the most prominent of these female journalists, the environment from which they emerged, the nature of their intellectual interests, and the writings they presented.

Keywords: Ottoman Empire, Press, Women, Fatima Aliya, Khalida Edib